راحاب تنضمّ إلى شعب الله

الخوري نعمة الله الخوري
استاذ العهد الجديد في اكليريكيّة كرم سدّه

تحتلّ راحاب دوراً مهماً في خبر سقوط اريحا، الحصن الاول الذي سقط بيد يشوع بن نون حين اراد دخول ارض كنعان. ارسل يشوع جاسوسين ليستكشفا المدينة، فدخلا بيت راحاب الزانية؛ حين علم اهل المدينة بامرهما، ساعدت راحاب الجاسوسين على الهرب بعد ان وعداها بانقاذها مع اهل بيتها. سنحاول التعرّف الى وجه راحاب الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بخبر سقوط اريحا، وسنفتح نافذة على العهد الجديد لنرى كيف فهم كتّابُهُ دور هذه المرأة في تاريخ الخلاص.

أولاً: قصة راحاب، رواية ام روايتان؟

تدهشنا عدة امور حين نقرأ الاخبار المتعلّقة براحاب الزانية:

١- حين استقبلت هذه المرأة الجاسوسين، عبّرت لهما عن ايمانها بإله العبرانيين (يش ٢:٩-١١)، ونحن نستغرب كيف توصّلت هذه المرأة الوثنية الى التعبير عن هذا الايمان، بهذا العمق والوضوح، وهي لم تتعرف بعد الى ايمان هذه المجموعة التي تحاصر اريحا للاستيلاء عليها.

٢- حين انزلت راحاب الجاسوسين بحبل، اجرت معهما حواراً طويلاً (٢:١٦-٢١). هل هذا ممكن، والجاسوسان معلّقان في الهواء، واهل المدينة يفتّشون عنهما في كل مكان؟

٣- تلفت انتباهنا التكرارات الواردة في خبر راحاب:

أ- الخبر يقول مرتين ان راحاب خبأت الجاسوسين (٢:٤ و٦).

ب- استعدّ الجاسوسان مرتين للهرب (٢:١٥ و٢١).

هذه التساؤلات تدفعنا الى التعمق في دراسة كيفية كتابة سفر يشوع، بشكل عام، وقصة راحاب وسقوط اريحا، بشكل خاص.

يقول الشراح انه، في القرن الثاني عشر، هجم العبرانيون، بقيادة يشوع، على اريحا، وسقطت المدينة بيدهم بعد حصول معركة عسكرية؛ يعطينا الفصل ٢ عدة اشارات الى احتمال حدوث هذه المعارك: المدينة محاصرة، الجواسيس في المدينة يخططون للهجوم، الحراس متيقظون، واهل المدينة يسيطر عليهم الخوف. اضافة الى ذلك نقرأ في نهاية سفر يشوع ما يلي: «عبرتم الاردن واتيتم الى اريحا فحاربكم اهل اريحا» (٢٤:١١).

مرّت عدّة قرون، واهتمّ التقليد اليهودي اللاحق باخبار المعارك التي انتصر فيها يشوع، فاعاد هذا التقليد قراءة الاحداث بحسب اهتماماته اللاهوتية، فظهر الخبر في شكل جديد. اذا قرأنا الفصل ٦ من سفر يشوع، نرى ان اريحا سقطت بيد العبرانيين دون معارك؛ فقد دار الكهنة، ومعهم تابوت العهد، حول المدينة سبع دورات (٦:١٥)، وانهارت اسوار المدينة تلقائياً ودخل اليها العبرانيون. نرى في الفصل ٦ التشديد على دور الكهنة وتابوت العهد والليتورجيا في احتلال المدينة. بعبارة اخرى، غاب دور المعارك والاستعدادات العسكرية التي ورد ذكرها سابقاً، واصبح التشديد على الايمان بالله الذي اسلم المدينة للشعب. هكذا ابرز التقليد المتأخر، بحسب اهتماماته اللاهوتية، دور الله في اعطاء الارض للعبرانيين، وقلّل من دور المعارك العسكرية.

باختصار، نجد في قصة راحاب

وسقوط اريحا الخبر التاريخي القديم الذي يروي سقوط اريحا بالقوة العسكرية، في القرن الثاني عشر؛ ونجد ايضاً، في خبر راحاب، التأمل اللاهوتي الذي اضيف على الخبر في القرن السادس. هذا يجعلنا نفهم معنى قانون الايمان الذي عبّرت عنه راحاب امام الجاسوسين؛ هذا الايمان هو قريب جداً من تعليم الفصول الثلاثة الاولى من كتاب تثنية الاشتراع؛ ومن المعلوم ان هذا الأخير قد كُتب في القرن السادس ق. م.، كما ان التكرارات التي اشرنا اليها ناجمة عن دمج تقليدين في خبر واحد.

ثانياً: راحاب وشمولية الخلاص

راحاب الزانية هي امرأة وثنية، ولكنّها عبّرت للجاسوسين عن ايمانها بإله العبرانيين، فنجت، هي واهل بيتها، بعد سقوط اريحا، وانضمت الى شعب الله.

هنا نتساءل: كيف دخلت هذه المرأة الوثنية الى الشعب المختار مع العلم ان اليهود لا يخالطون الوثنيين؟

اذا تابعنا اخبار انفتاح اليهود على الوثنيين، في الكتاب المقدس، نلاحظ انه في ايام داود (حوالي العام ١٠١٠ ق. م.) وفي ايام ابنه سليمان، عرف الشعب اليهودي انفتاحاً على الشعوب الوثنية المحيطة به؛ فبعد معاهدة السلام التي وقعها داود مع جيرانه، بدأ الاجانب يأتون الى اورشليم (رج ١ مل ١٠: ١ ي)؛ سمح السلام لملكة الجنوب أن تأتي من اقاصي الارض لتسمع حكمة سليمان (رج متّى ١٢: ٤٢).

غير انّ قصّة ارتداد راحاب الى اليهودية تسبق هذا الانفتاح على الوثنيين بفترة طويلة من الزمن. فقد انضمّت هذه المرأة الوثنية الى الشعب العبراني قبل داود بقرنين؛ ان اهتداء راحاب الزانية اضحى مثالاً للذين يريدون الانضمام الى الشعب اليهودي، شرط ان يعبّروا مثلها عن ايمانهم بإله العبرانيين.

يجب ألاّ تدهشنا هذه الامور، فنحن نرى القديس متّى يُدخل في انجيله اسم راحاب في سلسلة اجداد المسيح (متّى ١: ٥)؛ وذكر متّى، الى جانب راحاب، اسماء ثلاث نساء اجنبيات في سلالة يسوع: تامر الكنعانية (١: ٣)، وراعوت المؤابية (١: ٥)، وبتشابع امرأة اوريا الحثية (١: ٦). يريد متّى ان يشدّد على شمولية الخلاص الذي قدّمه يسوع لجميع الناس، فأورد أسماء النساء الاربع الاجنبيات: لقد ولدت هذه النساء الاجنبيات اشخاصاً سيظهر المسيح من نسلهم.

ثالثاً: راحاب في العهد الجديد

بعد ان ادخل متّى راحاب في سلالة اجداد يسوع، كما رأينا اعلاه، استعان يعقوب في رسالته بصورة راحاب ليقول انّ الايمان وحده لا يكفي بل تنقصه الاعمال؛ لقد امن ابراهيم بالله وجسّد ايمانه بعمل حسّي، فذهب ليقدّم ابنه ذبيحة لله (يع ٢: ٢١)؛ كذلك آمنت راحاب بالله، ولكنّ اعمالها هي التي برّرتها؛ فقد استقبلت الرسولين وجعلتهما ينطلقان في طريق اخر لينجوَا (يع ٢: ٢٥).

ولكنّ كاتب الرسالة الى العبرانيين (عب ١١: ٣١) اكتفى بايمان راحاب ولم يتطرّق الى اعمالها، على خلاف ما نقرأ في رسالة يعقوب. عدّد كاتب عبرانيين الآباء، منذ هابيل حتى المكابيين، وذكر في هذه اللائحة الطويلة راحاب، فاعتبر ان ايمانها خلّصها لانها تقبّلت الجاسوسين بالسلام.

خاتمة

تركت راحاب حياتها السابقة المطبوعة بالخطيئة وانفتحت على حياة جديدة، فانضمت الى شعب اسرائيل واصبحت مثالاً للذين يريدون الاهتداء والانضمام الى شعب الله. ان الله يختار ضعفاء هذا العالم ليخزي الاقوياء (١ كور ١: ٢٧)؛ انحنت المرأة الخاطئة على قدمي يسوع (لو ٧: ٣٧ ي) وجعلت تبلّ قدميه بالدموع؛ قال لها يسوع: ايمانك خلّصك، اذهبي بسلام (لو ٧: ٥٠). ان الله يرقّ لضعفنا ويدعونا لتبديل حياتنا بالحصول على نعمة الايمان الذي يعطينا القوة لنعيش حياة جديدة.